



طرف محبة العبد لربه وطرف محبة الرب لعبد

والكلام في هذه المنزلة معلق بطرفين : طرف محبة العبد لربه ، وطرف محبة الرب لعبد ، والناس في إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام : فأهل يحبهم ويحبونه على إثبات الطرفين ، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ، ولا نسبة لسائر المحاب إليها ، وهي حقيقة " لا إله إلا الله " وكذلك عندم محبة الرب لأوليائه وأنبائاته ورسله : صفة زائدة على رحمته ، وإحسانه وعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة ومحبها ، فإنه لما أحبهم كان نصيبيهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب.

مراتب المحبة:

أولها: " العلاقة " وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: " الإرادة " وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلب له.

الثالثة: " الصيابة " وهي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه ، كأنصباب الماء في الحدور .

الرابعة: " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، الذي لا يفارقه ، بل يلازمـه كملازمة الغريم لغريمه ، ومنه سمي عذاب النار " غراماً " للزومـه لأهله ، وعدم مفارقه لهم . قال تعالى: (إن عذابها كان غراماً) (الفرقان: 65)

قلت: (وهذه المرتبة لا تصح أن تصرف من العبد إلى الرب على ظاهرها ويجوز صرف معناها ، بل هي من مراتب المحبة العامة).

الخامسة: " الوداد " وهو صفو المحبة ، وحالصها ولبها ، والودود من أسماء الرب تعالى ، وفيه قولـان: أحدهـما : أنه المودود ، قال البخارـي في صحيحـه " الوـدود: الحـبيبـ".

والثانيـ: أنه الواد لـعبـادـهـ ، أيـ المـحبـ لـهـمـ ، وقرـنهـ باـسـمهـ الغـفـورـ إـعـلـاماـ بـأـنـهـ يـغـفـرـ الذـنـبـ ، وـيـحـبـ التـائـبـ مـهـ ، وـيـوـدـهـ . فـحـظـ التـائـبـ: نـيـلـ

وعلى القول الأول " الوـدودـ " فيـ معـنىـ يـكـونـ سـرـ الـاقـترـانـ ، أيـ اـقـترـانـ الـوـدودـ بـالـغـفـورـ استـدـعـاءـ مـوـدـةـ الـعـبـادـ لـهـ ، وـمـحـبـتـهـ إـيـاهـ باـسـمـ " الغـفـورـ".

الـسـادـسـةـ: " الشـغـفـ " يـاقـالـ: شـغـفـ بـكـنـاـ ، فـهـوـ مشـغـوفـ بـهـ ، وـقـدـ شـغـفـهـ المـحـبـوبـ ، أيـ وـصـلـ جـبـهـ إـلـىـ شـغـافـ قـلـبـهـ ، كـمـاـ قـالـ النـسـوـةـ عنـ اـمـرـأـةـ العـزـيزـ: " قـدـ شـغـفـهـ حـبـاـ " يـوسـفـ: 03ـ وفيـ ثـلـاثـةـ أـقـوـالـ: أحـدـهـاـ : أنهـ المـوـدـودـ ، بـحـثـ يـحـجـهـ عنـ غـيرـهـ . قالـ الكلـبـيـ: حـجـبـ جـبـ قـلـبـهـ حـتـىـ لـاـ تـعـقـلـ سـواـهـ .

الـثـانـيـ: الحـبـ الوـاـصـلـ إـلـىـ دـاخـلـ الـقـلـبـ ، قـالـ صـاحـبـ هـذـاـ القـوـلـ: الـعـنـيـ أـجـبـهـ حـتـىـ دـخـلـ جـبـ شـغـافـ قـلـبـهاـ ، أيـ دـاخـلـهـ.

الـثـالـثـ: أنهـ الحـبـ الوـاـصـلـ إـلـىـ غـشـاءـ الـقـلـبـ ، وـ" الشـغـافـ " غـشـاءـ الـقـلـبـ إـذـاـ وـصـلـ الـحـبـ إـلـيـهـ باـشـرـ الـقـلـبـ . قـالـ السـدـيـ: الشـغـافـ جـلـدـ رـقـيقـةـ علىـ الـقـلـبـ ، يـقـولـ: دـخـلـ الـحـبـ حـتـىـ أـصـابـ الـقـلـبـ .

وقـأـ بـعـضـ السـلـفـ: " شـغـفـهـ " أيـ ذـهـبـ الـحـبـ بـهـاـ كـلـ مـذـهـبـ وـيـلـغـ بـهـاـ أـعـلـىـ مـرـاتـبـهـ ، وـمـنـهـ: شـعـفـ الـجـبـالـ ، لـرـؤـسـهـاـ.

الـسـابـعـةـ: " العـشـقـ " وهوـ الحـبـ المـفـرـطـ الـذـيـ يـخـافـ عـلـىـ صـاحـبـهـ مـنـهـ ، وـعـلـيـهـ تـأـوـلـ إـبـرـاهـيمـ ، وـمـحـمـدـ بنـ عـبـدـ الـوـهـابـ (ولاـ تـحـمـلـنـاـ مـاـ لـاـ طـاقـةـ لـنـاـ بـهـ) البـقـرـةـ: 682ـ . قـالـواـ: هـوـ الـعـشـقـ .

ورفعـ إلىـ ابنـ عـبـاسـ شـابـ وـهـوـ يـعـرـفـ قـدـ صـارـ كـالـخـلـالـ ، فـقـالـ: مـاـ بـهـ؟ قـالـواـ: الـعـشـقـ . فـجـعـلـ ابنـ عـبـاسـ عـامـةـ دـعـائـهـ بـعـرـفـةـ: الـاستـعـاذـةـ مـنـ الـعـشـقـ.

وـفـيـ اـشـقـاقـهـ قـولـانـ: أحـدـهـاـ : أنهـ مـنـ الشـقـقـةـ مـحـرـكـةـ وـهـيـ نـبـتـ أـصـفـرـ يـلـتـويـ عـلـىـ الشـجـرـ ، فـشـبـهـ بـهـ العـاشـقـ.

وـالـثـالـثـيـ: أنهـ مـنـ الـإـفـرـاطـ . وـعـلـيـ القـوـلـيـنـ: فـلاـ يـوـصـفـ بـهـ الـرـبـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ ، وـلـاـ الـعـبـدـ فيـ مـحـبـةـ رـبـهـ . وـإـنـ أـطـلـقـهـ سـكـرـانـ مـنـ الـمـحـبـةـ قدـ أـفـنـاهـ الـحـبـ عـنـ تـمـيـزـهـ ، كـانـ فـيـ خـفـارـةـ صـدـقـهـ وـمـحـبـتـهـ .

الـثـامـنـةـ: " التـشـيمـ " وهوـ التـعـبـدـ وـالـتـنـلـلـ ، يـقـالـ: تـبـيـهـ الـحـبـ أـيـ ذـلـلـهـ وـعـبـدـهـ وـتـيـمـ اللـهـ: عـبـدـ اللـهـ ، وـبـيـنـهـ وـبـيـنـ الـيـتـمـ: الـذـيـ هـوـ الـانـفـرـادـ تـلـاقـ فـيـ الـاشـقـاقـ الـأـوـسـطـ ، وـتـنـاسـبـ فـيـ الـمـعـنـىـ فـإـنـ " التـشـيمـ " الـمـتـفـرـدـ بـعـجـهـ وـشـجـوـهـ . كـانـفـرـادـ الـيـتـمـ بـنـفـسـهـ عـنـ أـبـيهـ ، وـكـلـ مـنـهـمـ مـكـسـورـ ذـلـلـ، هـذـاـ

كسره يتم ، وهذا كسره تتم.

الناتعة: "العبد" وهو فوق التتيم ، فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه ألبته ، بل كله عبد لمحبوبه ظاهراً وباطناً . وهذا هو حقيقة العبودية ، وهو الحب الشامل مع الذل الشامل والخضوع للمحبوب. تقول العرب طريق "معبد" أي قد ذلت الأقدام وسهلت.

العاشرة: "الخلة" التي انفرد بها الخليلان ، إبراهيم ومحمد عليهما السلام ، كما صرحت عنه أنه قال: "إن الله اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً" . وقال: "لو كنت متخدناً من أهل الأرض خليلاً لا تخذن أبي بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن" والحديثان في الصحيح ، وهما ييطلان قول من قال "الخلة" لإبراهيم و "المحبة" لمحمد صلى الله عليه وسلم.

والخلة: هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه ، حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب. وهذا هو السر الذي لأجله والله أعلم أمر الخليل بذبح ولده ، وثمرة فؤاده وفلذة كبده ، لأنه لما سأله الولد فأعطيه ، تعلقت به شعبه من قلبه . و "الخلة" منصب لا يقبل الشركة والقسمة . فقار الخليل على خليله: أن يكون في قلبه موضع لغيره ، فأمر بذبح الولد ، ليخرج المزاحم من قلبه ، فلما وطن نفسه على ذلك ، وعزم عليه عزماً جازماً: حصل مقصود الأمر ، فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة ، فحال بيته وبينه ، وفداء بالذبح العظيم . وقيل له: (يا إبراهيم قد صدقت الرعيا) (الصافات: 501-401) ، أي عملت عمل المصدق) إن كذلك نجزي المحسنين (الصافات: 105 ، نجزي من بادر إلى طاعتنا ، فقر عينه كما أقررتنا عينك بامتثال أوامرينا ، وابقاء الولد وسلامته (إن هذا لهو البلاء المبين) (الصافات: 106 . وهو اختبار المحبوب لمحبه ، وامتحانه إيه ليؤثر مرضاته ، فيتم عليه نعمه ، فهو بلا محة ومنحة عليه معاً . وهذا الدعوة إنما دعا إليها بها خواص خلقه ، وأهل الأباب والبصائر منهم ، فما كان أحد يجيب داعيها ، ولا كل عين قريرة بها ، وأهلها هم الذين حصلوا في وسط قبضة اليمين يوم القبضتين ، وسائر أهل اليمين في أطرافها.

المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس:

قال صاحب المنازل: **المحبة**: تعلق القلب بين الهمة والأنس .

يعني: تعلق القلب بالمحبوب تعلقاً مقترباً بهمة المحب ، وأنه بالمحبوب ، في حالتي بذلك ومنعه ، وإفراده بذلك التعلق . بحيث لا يكون لغيره فيه نصيب.

وإنما أشار إلى أنها بين "الهمة والأنس" لأن المحبة لما كانت هي نهاية شدة الطلب ، وكان المحب شديد الرغبة والطلب : كانت "الهمة" من مقومات حبه ، وجملة صفاتاته . ولما كان الطلب بالهمة قد يعرى عن الأنس ، وكان المحب لا يكون إلا مستائساً بجمال محبوبه ، وطمعه بالوصول إليه. فمن هذين يتولد الأنس : وجب أن يكون المحب موصوفاً بالأنس . فصارت المحبة قائمة بين الهمة والأنس.

ويريد "بالبذل والمنع" أحد أمرين: إما بذل الروح والنفس لمحبوبه ، ومنعها عن غيره . فيكون البذل والمنع صفة المحب ، وإما بذل الحبيب ومنعه ، فتتعلق همة المحب به في حالتي بذلك ومنعه.

ويريد بالإفراد معندين: إما إفراد المحبوب وتوحيده بذلك التعلق . وإنما فناؤه في محبته بحيث ينسى نفسه وصفاته في ذكر محسن محبوبه ، حتى لا يبقى إلا المحبوب وحده. والمقصود: إفراد المحب لمحبوبه بالوحيد والمحبة .

والله أعلم

وللحديث بقية

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 15/04/2016

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com